المحاضرة 04 :

الحضارة الفينيقية

01ـ الجغرافية الطبيعية:

تقابل فينيقية معظم الإقليم السّاحلي من سوريا الحالية، يحدُّها جنوبا جبل الكِرمل، وشمالا خليج إسوس، ثم إقليم مدينة أرادوس. ويحدها من الشرق سلسلة جبال لبنان، ويحدها البحر من الغرب. وقد حدد وضع فينيقيا الجغرافي مصير سكانها. فلم يكن لأهل البلاد أن يطمعوا في العيش على الزراعة لأن السهول الحقيقية لا تمتد إلا في الشمال. ومع استثناء صيدا، وصور وسهلهما فإن الجبل ينهض بكل قامته قريبا من الشاطئ، ولا يترك من المسافات القابلة للزراعة ما يكفي لمؤنة السكان ولهذا تعلق مصير فينيقية بجبهة البحر.

02ـ أصل السكان:

أصل الفينيقيين ساميون عُرفوا بالكنعانيين، وهم من سكان شبه الجزيرة العربية، عبروا مضيق الجزيرة العربية من مصبّ الفرات إلى وادي الأردن ودخلوا سوريا من ناحية الشمال. واستوطنوا الساحل الضيق لها، وأسّسوا مدنا صغيرة استقروا فيها.

03ـ الممالك الفينيقية:

استوطن الفينيقيون الساحل السوري من الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وكثافة السكان بالبلاد على شيء من الإرتفاع، وتذكر الدراسات خمسا وعشرين مدينة فينيقية، وإن كان كثير منها لايعدو في الواقع أن يكون قرى كبيرة. وأهم المدن الفينيقية من الناحية السياسية، والدينية مدينة جبل (جبيل) وكانت مركزا مقدسا للعبادة. ومدينة طرابلس وكانت مدينة سياسية يجتمع فيها ممثلو المدن لبحث الأمور السياسية، ومدينة صيدا وتُلقّب بالمدينة الأم. ومدينة صور. وتعد صيدا وصور مراكز تجارية ومن أهم الممالك الفينيقية.

04ـ معالم الحضارة الفينيقية:

أ ـ نظام الحكم والإدارة:

لقد كان للمدن الفينيقية ملوك، وحكام يُختارون من أُسَرٍ منتسبة إلى أصل مقدس، وكان سلطان الملك محدودا بمجلس الشيوخ المؤلف من أغنى تجار المدينة، واكتسبت مجالس الشيوخ في آخر العصر الفينيقي سلطة تكاد تساوي سلطة الملك. وجميع ملوك فينيقية كانوا في الغالب مستقلين عن بعضهم لايتّحدون إلا لمجابهة غارات المغيرين.

ب ـ الدين:

مارس الفينيقيون في جوهر معتقداتهم ديانة تتّسم بطابع زراعي مميّز فيما يتعلّق بآلهتها، وخرافاتها، وطقوسها، مما يثبت أنهم تعاطوا الزراعة قبل أن يصبحوا تجارًا وملاحين. فأطلقوا على إلههم الرئيس اسم "إيل" ومعناه "إله" ورأوا فيه سيد الآلهة. ويأتي بعده "بعل" (السيد) وهو إله الصاعقة، والمطر، والرعد. أما ابنه "أليان بعل" فيمثل الآبار وينابيع المياه الجوفية، و "داغون" إله القمح، و"موت" إله الحصاد، و"عَشْتَرت" آلهة الخصب.

ج ـ الحياة الاقتصادية:

تميزت الزراعة الفينيقية بقلّة الأراضي الخصبة، ولكنهم لا يدعون أقلّ قطعة من الأرض الصالحة دون استغلال حتى إنّهم ليُعلّقون مزروعاتهم على مسطّحات مدرّجة، ترتفع على سفوح جبل لبنان. وكانت منتوجاتهم كافية لسدّ حاجة السكان، إلى جانب بعض المحاصيل التجارية كالخشب، والكتّان، والقطن. ولم تكن الزراعة أكبر مورد بل كانت التجارة أكبر مورد للاستغلال عند الفينيقيين. وساعدهم في ذلك استعدادهم البحري، ومعرفتهم بشؤون البحر، و الملاحة نتيجة للطبيعة الجغرافية للمنطقة. وكانوا يرتحلون بتجارتهم من مكان إلى مكان حتى غدت لهم السّيادة على البحار و التجارة. وبرع الفينيقيون في أنواع مختلفة من الصناعة

أشهرها الصباغة لاسيما اللون الأرجواني الذي عُرِفوا به. وكذا صناعة السفن، و الزجاج، و النسيج.

د ــ الحياة الفكرية و الثقافية:

عرف الفينيقيون الخط الهيروغليفي، و المسماري، و المعيني الذي انتشر في استخدامهم. وتشير الأبحاث إلى أنّ أبجدية " ناووس أحيرام" كانت مصدر الأبجديات المعتمدة في لغات الشعوب المجاورة كالآرامية، و العبرانية ثم استوحاها الإغريق مضيفين بعض العلامات ثم انتقلت إلى العالم المتوسط.

ويبرز الفن الفينيقي عن طريق المدافن التي يثبت قدمها، وغناها أهمية عبادة الأموات. ولكنه ليس بالفن المبتكر إذ يبدو عليه الأثر الأجنبي. كمدافن "أوغاريت" و"قبر الملك أحيرام" في جبيل. فقد تأثر الفينيقيون بالفن المصري خاصة في مجال النحت، والحفر على الأحجار الثمينة. وعرف الفينيقيون بعض العلوم التي اقتبسوها من الحضارات المجاورة لهم كحضارة بلاد الرافدين، والحضارة المصرية.